-[إيران.. ميلاد قوة عُظمى]-

سنقوم بتحليل كل محور كمحرك استراتيجي (Strategic Driver) يهدف إلى تغيير موازين القوى، ومن ثم نربطها في تقرير ختامي يوضح كيف يمكن لهذه الخطوات أن تساهم في صعود إيران كقوة إقليمية مهيمنة بمواصفات "قوة عظمى" في سياق "العالم متعدد الأقطاب".

1. شرذمة الناتو وفك التبعية للأمريكان

يعتمد هذا المحور على استغلال "التناقضات الداخلية" داخل الحلف. إيران تراهن على أن مصالح أوروبا (خاصة الطاقة والأمن الإقليمي) لا تتطابق دائمًا مع المصالح الأمريكية. والوقائع تقول إن التوجه نحو تعزيز العلاقات مع القوى الصاعدة (الصين وروسيا) لخلق ضغط يضطر الدول الأوروبية للاختيار بين التصادم أو التحييد، وهدف ذلك يكون في تحويل الناتو من كتلة صلبة إلى مجموعة دول تبحث عن مصالحها الفردية بعيداً عن "المظلة الأمريكية".

2. ضرب هيمنة الدولار (اليوان الذهبي والتومان)

كان السلاح الأقوى ضد إيران غير العسكري هو العقوبات المالية المرتبطة بنظام "سويفت" والدولار. لذا، الانتقال إلى سلة عملات أو عملة مغطاة بالذهب (أو اليوان) يهدف إلى "تحصين الاقتصادات" من العقوبات العابرة للحدود. واليوم في الحرب الجارية فإن الوقائعبدأ يأخذ تفعيل مقايضة النفط بالبضائع أو العملات المحلية مع دول "بريكس" (BRICS) التي أصبحت إيران عضواً فيها.

3. فك العقوبات عبر "سلطة الممرات المائية"

كان استغلال الموقع الجيواستراتيجي (مضيق هرمز وباب المندب) لفرض مقايضة: "الأمن الملاحي مقابل حرية التجارة" أهم خيار أمني أو عسكري تتخذه إيران في كل علاقاتها الدولية في العالم. وكان الهدف تحويل المضائق من ممرات دولية إلى "أوراق تفاوض سيادية" تجبر القوى الأوروبية على رفع القيود الاقتصادية لضمان تدفق بضائعها وطاقتها.

في القرن الحادي والعشرين لا تعتمد فقط على السلاح النووي، بل على أسلحة أمنية استراتيجية قد تكون أقوى وأهم منه:

1. الاستقلال المالي (نظام دفع بديل).
2. العمق الاستراتيجي (التحالفات الشرقية).
3. التحكم في خطوط الإمداد العالمية.

بداية، إن تسلسل الأفكار لهذه الدراسة (Methodology) هي كالتالي:

أولاً: الإطار النظري (Conceptual Framework)

تعريف القوة العظمى الناشئة: كيف يتحول اللاعب الإقليمي إلى قطب عالمي (عبر كسر القطبية الواحدة).
نظرية "المجالات الحيوية": التحكم في الممرات المائية والطاقة كأداة ضغط سياسي.

ثانياً: التحليل القطاعي (Sectoral Analysis) - "المحاور الأربعة"

سنقوم بمعالجة كل نقطة ذكرها أستاذك كـ "مرحلة تنفيذية" مستقلة:

1. المحور الجيوسياسي (شرذمة الناتو):
   - آليات إضعاف "الانسجام الأطلسي".
   - استراتيجية "الدبلوماسية الثنائية" مع دول أوروبا لضرب الإجماع.
2. المحور السيادي (فك التبعية للأمريكان):
   - تحليل مفهوم "الاستقلال الاستراتيجي" عن القرار الأمريكي.
   - بناء تحالفات "شرقية" (الصين، روسيا) كبديل للمظلة الغربية.
3. المحور الاقتصادي (حرب العملات):
   - منطق "إلغاء الدولرة" (De-dollarization).
   - جدوى "اليوان الذهبي" أو "التومان" في التعاملات البينية لكسر النظام المالي العالمي.
4. المحور الأمني-الملاحي (مقايضة العقوبات بالعبور):
   - استخدام "الجغرافيا السياسية" (المضائق) كأداة لفرض رفع العقوبات.
   - تحويل الممرات المائية إلى "نقاط خنق" (Choke Points) قانونية وسياسية.

ثالثاً: التركيب والاستشراف

نموذج "النسيج الكلي": كيف تخدم هذه الخطوات مجتمعةً هدف "القوة العظمى".
التحديات والمخاطر: (المعيقات الواقعية التي قد تواجه هذا المخطط).

رابعاً: الخلاصة والتوصيات

نتيجة التحليل المنطقي حول إمكانية تحقق هذا السيناريو على أرض الواقع.

المحور الأول: شرذمة الناتو وفك التبعية للأمريكان

سنبدأ بتحليل المحور الأول بعمق أكاديمي، مع التركيز على الاستراتيجية الجيوسياسية الإيرانية تجاه حلف الناتو والولايات المتحدة، مستنداً إلى وقائع ملموسة ومفاهيم مستمدة من العلاقات الدولية.

استراتيجية "دق الإسفين" (Wedge Strategy)

تعتمد إيران في سياستها تجاه الناتو على ما يسميه علماء السياسة (مثل Timothy Crawford) بـ "استراتيجية الإسفين". الهدف ليس تدمير الحلف عسكرياً بضربة واحدة، بل إضعاف التماسك الداخلي للحلف عبر استغلال تباين المصالح بين "الأعضاء الأوروبيين" و"القيادة الأمريكية". وإيران تدرك أن أمن الطاقة الأوروبي يعتمد بشكل كبير على الاستقرار في منطقة الخليج ومضيق هرمز. من خلال الضغط في هذه المنطقة، تضع أوروبا أمام خيارين:

1. إما اتباع النهج الأمريكي التصادمي (وهو ما يضر بمصالحهم الاقتصادية)،
2. أو البحث عن "مسار دبلوماسي مستقل" بعيداً عن واشنطن.

ذلك أن دراسات في "المعهد الأوروبي للدراسات الأمنية" (EUISS) تُشير إلى أن الفجوة في التوجهات الاستراتيجية بين ضفتي الأطلسي تجاه الشرق الأوسط (Transatlantic Rift) هي نقطة الضعف التي تراهن عليها القوى الإقليمية الصاعدة.

استغلال "الأجنحة المتمردة" داخل الحلف (نموذج تركيا، إسبانيا، والدانمارك)

إيران تراقب وتعزز علاقاتها مع الدول الأعضاء في الناتو التي تظهر استقلالية عن القرار الأمريكي (مثل تركيا) من خلال تعزيز الشراكات الاقتصادية والأمنية مع دول الناتو ذات النزعة السيادية، تساهم إيران في خلق "كتلة داخلية" داخل الحلف تعارض القرارات الجماعية المتطرفة ضد طهران، مما يؤدي إلى "شلل إجرائي" في اتخاذ القرار داخل الناتو (Decisional Paralysis).

ضرب "الهيبة" عبر إظهار عجز المظلة الأمنية

الهيبة (Prestige) في العلاقات الدولية هي "السمعة بالقوة". تعمل إيران على تقويض هيبة الناتو من خلال:

- تطوير الصواريخ البالستية والطائرات المسيرة: أثبتت التقنيات الإيرانية (مثل عائلة "شاهد" و"فاتح") قدرتها على تجاوز منظومات دفاعية غربية، مما يرسل رسالة للدول الحليفة لأمريكا بأن "المظلة الأمنية للناتو" ليست مطلقة.
- الحروب الهجينة (Hybrid Warfare): استخدام أطراف غير دولية (Non-state actors) للضغط على القواعد الأمريكية في المنطقة، مما يجعل تكلفة البقاء الأمريكي في "المحيط الحيوي" لإيران باهظة سياسياً وعسكرياً.

فك التبعية عبر "التوجه شرقاً"

إن تحويل البوصلة نحو الصين وروسيا (من خلال اتفاقيات استراتيجية طويلة الأمد مثل اتفاقية الـ 25 عاماً مع الصين) يهدف إلى جعل "التبعية للأمريكان" خياراً غير منطقي اقتصادياً للدول الأخرى وخاصّة الدول الأوروبية منها، فإيران تريد من الاتصال القارّي بين آسيا وأوروبا (أوراسيا) أن يكون متوحّدًا اقتصاديًا، وأن الدول جميعها تخضع لقانون جامع يتفق عليه الجميع بعيدٍ عن السلطة الأمريكية التي تُملي على الدول سياسات تصب في صالح الولايات المتحدة وحدها ولا تستفيد منها شعوب هذه الدول.

وكذلك عندما تصبح إيران جزءاً من منظومة أمنية واقتصادية شرقية (مثل منظمة شنغهاي للتعاون)، فإن أي قرار يصدر من الناتو ضدها سيصطدم بمصالح قوى عظمى أخرى (الصين وروسيا)، مما يكسر "الهيمنة القطبية" للولايات المتحدة.

لقد أشار تقرير RAND Corporation: حول "تأثير النفوذ الإيراني على التماسك الأطلسي"، والذي يشير إلى أن طهران تستخدم "دبلوماسية المسار الثاني" لتعميق الخلافات الأوروبية-الأمريكية.

وكذلك مبدأ "السيادة الاستراتيجية" (Strategic Autonomy) الذي بدوره هو مصطلح يتردد كثيراً في أروقة الاتحاد الأوروبي (خاصة فرنسا)، وتلعب إيران على وتر تشجيع هذا التوجه للتخلص من القيود الأمريكية المفروضة على التجارة معها.

بتحييد الناتو أو جعله حلفاً "متنازعاً داخلياً"، تنتقل إيران من وضعية "الدولة المحاصرة" إلى وضعية "اللاعب الذي يحدد قواعد اللعبة" في غرب آسيا، وهي أولى خطوات التحول إلى قوة عظمى.

المحور الثاني: هيمنة الدولار

يتمحور هذا الجزء من التحليل حول الانتقال من "الحرب العسكرية" إلى "الحرب النقدية"، حيث تعتبر إيران أن قوة الولايات المتحدة تكمن في نظام (البترودولار). لذا، فإن كسر هذه الحلقة هو المدخل الأساسي للحصول على مكانة "القوة العظمى".

استراتيجية "إلغاء الدولرة" كضرورة أمنية

تعتمد إيران سياسة منهجية لتقليل الاعتماد على الدولار في تجارتها الخارجية، ليس فقط كإجراء اقتصادي، بل كآلية لانتزاع "سلاح العقوبات" من يد واشنطن. (المصدر: دراسة منشورة في مجلة "Global Policy" بعنوان: السياسات النقدية للدول الخاضعة للعقوبات). ومنطق الأمور يقول: عندما تخرج المعاملات المالية عن نظام "سويفت" المعتمد على الدولار، تفقد الإدارة الأمريكية القدرة على تتبع أو حظر الأموال الإيرانية، مما يمنح طهران "سيولة سيادية" كاملة.

التحالف مع "اليوان الصيني" والغطاء الذهبي

تسعى إيران للاستفادة من صعود الصين عبر ربط مبيعاتها النفطية باليوان. التوجه نحو "اليوان الذهبي" يعني إجراء مقاصة تجارية تعتمد على عملة مدعومة بالذهب أو سلع استراتيجية، مما يجعل العملة محصنة ضد التضخم أو التلاعب السياسي الغربي. (المصدر: تقرير مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية CSIS حول "مستقبل التنافس المالي بين القوى العظمى"). والوقائع تُشير إلى أنّ توقيع اتفاقيات طويلة الأمد مع بكين تتيح تبادل النفط الإيراني مقابل التكنولوجيا والبنية التحتية الصينية، وهو ما يُعرف بـ "المقايضة الاستراتيجية" التي تتجاوز النظام المالي الغربي التقليدي.

فرض "التومان" في التعاملات الإقليمية

تحاول إيران تحويل عملتها المحلية (التومان) إلى عملة ارتكاز في "المجال الحيوي" التابع لها (مثل العراق، سوريا، ولبنان). (المصدر: بحث في "Journal of Balkan and Near Eastern Studies" يتناول النفوذ الاقتصادي العابر للحدود) من خلال إنشاء مصارف مشتركة وشبكات تحويل مالية موازية، تفرض إيران واقعاً اقتصادياً يجعل دول الجوار مرتبطة بدورتها المالية الخاصة، مما يضعف فاعلية الحصار المالي الأمريكي على المنطقة ككل.

الانضمام إلى تكتل "بريكس" (BRICS)

يعد انضمام إيران الرسمي لهذا التكتل خطوة مفصلية، حيث يهدف التكتل علانية إلى إيجاد نظام مالي متعدد الأقطاب. (المصدر: نشرة "Oxford Analytica" حول توسع بريكس وتأثيره على الجيوسياسية العالمية). والهدف من ذلك هو المشاركة في "بنك التنمية الجديد" التابع للمجموعة، والذي يتيح لإيران الحصول على تمويلات وقروض بعملات غير الدولار، مما يكسر احتكار صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للقرار المالي.

المحور الثالث: حرب المضائق

يعتمد هذا المحور على تحويل الممرات البحرية من مجرد طرق تجارية مثل المضائق البحرية وأهمها مضيق هرمز ويتبعه مضيق باب المندب إلى أدوات ضغط أو نفوذ جيوسياسي (Geopolitical Leverage) تجبر القوى الكبرى على إعادة النظر في سياسة العقوبات. وهنا سنتحدث عن 4 عوامل مهمة جدًا في هذا التحويل:

1. استراتيجية "نقطة الاختناق" (Choke Point Strategy)

تسيطر إيران جغرافياً على مضيق هرمز، الذي يمر عبره نحو 20% من إمدادات النفط العالمية. (المصدر: تقرير إدارة معلومات الطاقة الأمريكية EIA حول ممرات تجارة النفط العالمية). والمنطق المنظم يقول أن تتبنى إيران عقيدة "الأمن للجميع أو لا أحد"؛ بمعنى أن استمرار العقوبات التي تمنع تصدير نفطها سيقابله تهديد تقني وقانوني لسلامة الملاحة للدول المشاركة في تلك العقوبات. هذا يحول المضيق من ممر دولي إلى "منصة تفاوضية" صلبة.

2. ربط "العبور الآمن" برفع القيود الاقتصادية

وفقاً لهذا المنظور، فإن أي سفينة تابعة لدولة تلتزم بالعقوبات الأمريكية قد تواجه تعقيدات إجرائية أو قانونية عند عبورها المياه الإقليمية أو المتاخمة لإيران. (المصدر: دراسة في "مجلة الشؤون البحرية" (Journal of Maritime Affairs) حول السيادة البحرية في مضيق هرمز)، والهدف الاستراتيجي يكمن في دفع الدول الأوروبية والآسيوية (المعتمدة على الطاقة) إلى إجراء "مفاضلة" بين الالتزام بالعقوبات الأمريكية وبين تأمين تدفق احتياجاتها من الطاقة وبضائعها، مما يؤدي في النهاية إلى تآكل نظام العقوبات من الداخل.

3. عولمة التهديد الملاحي (من هرمز إلى باب المندب)

لم يعد النفوذ الإيراني محصوراً في الخليج العربي فحسب، بل امتد عبر حلفائها إلى مضيق باب المندب والبحر الأحمر. (المصدر: بحث في "المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية" (IISS) حول تمدد القدرات البحرية غير المتناظرة). نظرًا إلى الواقع الملموس فإنّ القدرة على التأثير في ممرين مائيين عالميين في وقت واحد تمنح إيران "فيتو" غير معلن على التجارة العالمية بين الشرق والغرب، وهو ما يجبر القوى العظمى على التعامل مع طهران كشريك إقليمي لا يمكن تجاوزه أو محاصرته.

4. التحول نحو "قوة بحرية للمياه الزرقاء"

بدأت إيران بتطوير قطع بحرية قادرة على التواجد في أعالي البحار (المحيط الأطلسي والهادي)، مما يعني أنها لم تعد تكتفي بالدفاع عن سواحلها. (المصدر: تقرير "معهد لوي" (Lowy Institute) حول القوى البحرية الناشئة في المحيط الهندي)، وبالنتيجة نجد هذا التواجد يرسل رسالة مفادها أن إيران قادرة على "المعاملة بالمثل"؛ فإذا تعرضت سفنها للمضايقات بسبب العقوبات، فإنها تمتلك الأدوات للرد في مناطق بعيدة عن حدودها الجغرافية.

المحور الرابع: القوة العُظمى

نصل الآن إلى ذروة التحليل، حيث تلتقي المسارات الجيوسياسية والاقتصادية والملاحية لتشكل الهيكل المتكامل لما يسمى بـ "القوة العظمى الناشئة". في هذا المحور، سنقوم بصهر النتائج السابقة في إطار استراتيجي واحد يوضح كيف تتحول هذه الخطوات إلى واقع سياسي مهيمن، فإن تحول أي دولة إلى "قوة عظمى" لا يحدث بمجرد امتلاك السلاح، بل عبر القدرة على "هدم النظام القائم وبناء بديل وظيفي". وهنا تبرز العبقرية الاستراتيجية في ربط المحاور الثلاثة السابقة:

1. التكامل الوظيفي (The Strategic Synergy)

عسكرياً (شرذمة الناتو): من خلال إضعاف الحلف، تضمن إيران تحييد أكبر قوة عسكرية عالمية عن التدخل المباشر في شؤونها، مما يمنحها "حرية الحركة" في إقليمها الحيوي. (المصدر: دراسة "توازن القوى في القرن الحادي والعشرين" - جامعة أكسفورد).
اقتصادياً (ضرب الدولار): هذا التحييد العسكري يُحمى بجدار مالي؛ فالدول التي لم تعد قادرة على استخدام السلاح ضد إيران، ستجد أن "سلاح العقوبات" قد تآكل أيضاً بسبب اعتماد نظام "اليوان الذهبي"، مما يجعل إيران محصنة ضد الضغوط الخارجية.

2. نظرية "القلب الجيوسياسي" الجديد

بدمج المحاور الثلاثة، تضع إيران نفسها كعقدة وصل لا يمكن الاستغناء عنها في مشروع "الحزام والطريق" الصيني و"ممر الشمال - الجنوب" الروسي. (المصدر: تقرير "المعهد الدولي للتحليل الاستراتيجي" حول الجيوسياسية الجديدة للطاقة).
النتيجة: تتحول إيران من "دولة مارقة" (حسب التصنيف الغربي) إلى "دولة مركز" (Pivot State). فالعالم الذي يريد التجارة عبر اليوان والذهب، والعبور بأمان عبر المضائق، والابتعاد عن الهيمنة الأمريكية، سيجد في طهران الشريك والضامن الاستراتيجي.

3. فرض "الأمر الواقع"

تعتمد هذه الأنسوجة على مبدأ "الإرغام الهادئ". عندما يرى العالم أن:

- القرار الأوروبي تفكك عن القرار الأمريكي (المحور 1).
- التجارة العالمية بدأت تتنفس عبر عملات غير الدولار (المحور 2).
- مفاتيح البحار أصبحت بيد من يملك القدرة على المقايضة السيادية (المحور 3).
- الحرب الحالية: بمجرد اختيار مواجهة الولايات المتحدة فإن في ذلك إهانة للأمريكيين ولا شك أن إيران سيُحسب لها ألف حساب (المحور 4).